وسلاحك الماضي براهينٌ زرتْ بشفار ابيضَ مرهفٍ او اسمرا
قوّادك الابطال قُيّدَ قلبُهم بقيود حبّك رغبةً وتحيُّرا
عجباً لقوّادٍ ابوا ان يركبوا الّا المخاطرَ والعناء ومنبرا
حملوا على نُوَب الزمان فاكسبوا اسرى البلايا والشقاء تحرُّرا

* * *

يا من نزلتَ لتمتلي فامدُدْ يداً بمعونةٍ كيلا نضلَّ ونعثرا
واسكب غيوثك في نفوس الحقلت بسموم أهواء القلوب فتنضرا
جدّدْ وأنجز وَعْدَ قسطنطين اذ خاطبتَهُ : «خذ ذا الشعار فتُنصرا»
هَبْنا انتصاراً في حروب قاومنا لننال مجداً قامعين المنكرا
فنعيش في أرَج الفضائل والتقى فيفوح مسكُ ختام عمرٍ اذفرا

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهلية (تابع)

السماء والجحيم وما فيهما

كما اقتبس عرب الجاهلية معارفهم عن الحقّ سبحانهُ وتعالى من نور النصرانيّة ودُعاتها خصوصاً كذلك يجب القول انهم عرفوا الآخرة بفضلهم وان امكنهم ان يستعيروا شيئاً منها من اليهود الّا انّ اليهود كما سبق لنا القول كانوا متزوين في بعض انحاء جزيرة العرب ولم يختلطوا مع اهلها الّا اختلاطاً يسيراً على خلاف النصارى الذين رأيناهم في ما مرّ ساكنين في كلّ اقطار العرب لا يخلو منهم حيّ واحد فلا عجب ان يكونوا بثّوا تعاليمهم في دار الخلود بين اهل البادية والحضر كما نشروا تعريفهم للخالق عزّ وجلّ

(السماء) معلوم انَّ السماء مقام الله حيث يتجلّى للابرار وحيث يقيم في خدمته ملائكة متزّهون عن الهيولي . . . وقد مرّت لنا ابيات لاميَّة بن ابي الصلت وصف فيها تلك السماء العليا . فلا حاجة الى تكرارها وانَّما نضيف اليها قولهُ في الدارين :

دارٌ دعاها ثمَّ أعمرَنا بها واقام بالاخرى التي هي امجدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً :

فأمَّ سنًّا فاستوتْ أطباقُها وأتى بابنهِ فأتى تُوردُ

وتُدعى السماء ايضاً بجنَّة الخلد وبالفردوس وجنان عَدْن . قال اميَّة بن ابي الصلت :

ربّي لا تحرمنّي جنَّةَ الخُلد م وكن ربّي بي رؤوفاً حفيّاً

وقال حكيم بن قبيصة يخاطب ابنهُ بشراً (في الحماسة ed. Freytag, ٧٩٢) :

فما جنَّةُ الفردوس هاجرتَ تبتغي ولكن دعاكَ الخبزُ والتمرُ احسبُ

ومثلهُ لحسّان بن ثابت (تاج العروس ٤ : ٤٠٥) :

وانَّ ثواب الله كلَّ موحّدٍ جنانٌ من الفردوس فيها يخلّدُ

وقال النابغة (المخصّص لابن سيده ٩ : ٥٦) :

فلامُ الاله يندو عليهم وفيُوء الفردوس ذات الظلالِ

وللسماء في الشعر القديم اسماء غيرها منها برْقع وعدن ونعيم قال اميّة بن ابي الصلت (المخصّص ٩ : ٦) :

وكأنَّ برْقعَ والملائكُ حولها سَدِرٌ تواكَلَهُ القوائمُ اجردُ

وجاء في عَدْن له ايضاً :

جهنمُ تاركٌ لا تُبقي بنيّاً وعَدْنٌ لا يطالُها رجيمُ

وقال في النعيم :

لم يُخلَق السماء والنجومُ والشمسُ مما قدَّرَ يقومُ
قدَّرهُ المهيمن القيّومُ والحشْ والجنَّةُ والنعيمُ
الّا لأمر شأنهُ عظيم

وسماها ايضاً دار صِدْق قال :

وحلَّ المتّقون بدارِ صدقٍ وعيش ناعم تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنّوا من الافراح فيها والكمالِ

(الملائكة) واخصُّ ما في السماء الملائكة . ومعلوم ان ذكر الملائكة لم يمكنهُ

ان يتّصل الى العرب الّا بطريقة وحي سابق ودين شاع فيه المعتقد بوجود الملائكة كالنصرانيّة . وقد احسن اميّة في وصفهم فقال :

يتنابهُ المتنصفون بسجرةٍ في الف الف من ملائكَ نُحشَدُ
رسلٌ يجيبون السماء بأمرهِ لا ينظرون ثواء من يتقصّدُ
فهمُ كأوب الريح بينا أدبرَتْ رجعت بَوادي وجهها لا تُكرَدُ
حذفٌ مناكبهم على أكتافهم زفٌّ يزفُّ جم اذا ما استنجدوا
واذا تلاميذُ الاله تعاونوا غلبوا ونشّطهم جناحٌ ممتدُ
خضوا باجنحةٍ فلم يتواكلوا لا مبطئٌ منهم ولا مستوغدُ

ولهُ من قصيدة اخرى :

ملائكةٌ اقدامهم تحت عرشهِ يكنّيهِ لولا الله كلّوا وابلدوا
قيامٌ على الاقدام عانينَ تحتهُ فرائصهم من شدّةِ الخوفِ تُرعَدُ
وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوحي ركّدُ

وهناك قد ميّز طبقات الملائكة واشار الى عددهم ومختلف اعمالهم ورتبهم كالكروبيم والحرّاس وصرّح باسماء بعضهم كجبرئيل وميخائيل قال :

امينٌ لوحي القدس جبريلُ فيهم ومكالُ ذو الروح القوي المسدَّدُ
وحرّاسُ ابواب السماوات دونهم قيامٌ عليها بالتالد وُصّدُ
فهم العبادُ المطهّرون لأمرهِ ومن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنّدُ
ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسجّدُ
فاحدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسهُ يعظّم ربّاً فوقهُ ويمجّدُ
وراكعهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعاً يردّدُ آلاء الاله ويحمدُ
ومنهم ملكٌ في الجانحين رأسهُ يكاد لذكرى ربّهِ يتفصّدُ
من الخوف لا ذو سأمةٍ بعبادةٍ ولا هُوَ من طول التعبّد يجهدُ
ودون كثيف الماء في غامض الهوا ملائكةٌ تنحطُّ فيهِ وتصعدُ
وبين طباق الارض تحت بطونها ملائكةٌ بالامر فيها تردّدُ

وانشد الكسائي لعلقمة بن العبد يمدح الحارث بن جبلة . وتروى لشاعر من عبد القيس يمدح النعمان وفيها ذكر الملئكة (راجع التاج في مادّة ملك . وشرح بانت سعاد لابن هشام ed. Guidi, p. 42) :

تعاليتَ ان تُعزى الى الانس خلّةٌ وللإنس من يزوكَ فهو كذوبُ
قلتَ لإنسيٍّ ولكن لِملأكٍ تنزّلَ من جوّ السماء يُصوّبُ

ولاميّة ايضاً في الملائكة الموكلين بالمخلوقات السفلى قولهُ (اساس البلاغة ٢ : ١٦٦) :

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكةٌ تنحطُّ فيه وتسبحُ

وقد كثُر ذكر الملاك جبرائيل في الشعر القديم . قال عمران بن حطّان :

والروح جبريلُ فيهم لا كفاء لهُ وكان جبريلُ عند الله مأمونا

وقال حسّان بن ثابت (ديوانهُ طبعة ليدن ed. Hirschfeld, p. 42) :

يا حارِ في سِنَةٍ من نومِ ادّلكم ام كنتَ ويحك منذرًا بجبريل

وقال ايضاً (ib. ١) :

برجالٍ لستُ أمثالهم أيّدوا جبريلُ نصرًا فنزلْ

وقد لقّبهُ حسّان في محلّ آخر بالروح القدس (ib. p. 2) :

وجبريلٌ امينُ الله فينا وروح القدس ليس لهُ كفاء

ويروى : « رسول الله » . وكذلك ذكروا الملاك ميخائيل ودعوهُ ميكال قال ورقة بن نوفل :

وجبريلٌ يأتيهِ وميكالُ معهما من الله وحيٌ يشرح الصدرَ مُنزّلُ

وذكروا من طغمات الملائكة الكروبيّة وهم الكروبيم وصفهم في تاج العروس « بسادة الملائكة والمقرّبين الى حَمَلَة العرش » . كقول اميّة بن ابي الصلت السابق ذكرهُ (التاج ٢ : ١٥٤) :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجّدُ

وقال في السارفيم ودعاهم بالسرافيل (كتاب البدء للمقدسي ed. ١٦٨ : ١ Huart) وعجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦ ed. Wüstenfeld,) :

حُبس السرافيلُ الصوافي تحتهُ لا واهنٌ منهم ولا مستوغِدُ

ومما وصفه شعراء الجاهليّة في السماء عرشُ الله الذي تكرّر ذكرهُ في الاسفار المقدّسة من العهدين العتيق والحديث . ومن البديهي انّ عرش الله ليس شيئاً هيولياً مجسّماً وانّما المراد بهِ عزّتهُ تعالى وثباتهُ . قال اميّة وهو غير ما سبق لهُ (الاضداد لابن الانباري ص ٥١)

ملكٌ على عرشِ السماء مهيمنٌ تعنو لعزّتهِ الوجوهُ وتسجدُ

وقال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣ : ١٤) :

سبحان ذي العرش سبحانًا يعادلهُ ربُّ البريّة فردٌ واحدٌ صمدُ

ويروى: « سبحاناً يدوم لهُ . وسبحاناً يعود لهُ » . ومثل العرش السرير قال اميّة (كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ١ : ١٦٥) :

مجّدوا الله فهو للمجد اهلٌ ربُّنا في السماء امسى كبيرا
بالبناء الاعلى الذي سبق الخلـ ـق وسوّى فوق السماء سريرا
شرجعاً ما يناله بصرُ العـ ـبدِ ترى دونهُ الملائك صُورا

فالشرجع الخشبة المربّعة الطويلة وهي ايضاً العرش والسرير

(جهنّم) ليست معرفة شعراء الجاهليّة بجهنم وعذابات الهالكين ووجود الشياطين دون معرفتهم بالسماء واهلها . قال كعب بن مالك في وصف جهنم (اتقان علوم القرآن للسيوطي ١ : ١٥٨) :

تَلَظّى عليهم حين أنّ شدَّ حَبْلُها بزُبَر الحديدِ والحجارة ساجرُ

وقال اميّة بن ابي الصلت (فيه ١ : ١٥٩) :

فأُركِسوا في حميم النار أنّهمُ كانوا عُتاتاً يقولون الكذب والزورا

ويروى: « في جهنم انهم كانوا عصاة » . وقال وقد اجاد في بيان حال الهالكين (شعراء النصرانيّة ١ : ٢٢) :

وسيقَ المجرمون وهم عُراةٌ الى ذاتِ المقامع والنكالِ
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً وعجّوا في سلاسلها الطوالِ
فليسوا مبتئين فيستريحوا وكلّهمُ ببحر النار صالِ

وقال فيهم (خزانة الادب ٢ : ٤٦٣) :

فهم يَطفَون كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ

وقال النابغة الجعديّ مستغفراً وطالباً النجاة من جهنّم (خزانة الادب ٤ : ١)

يا مالك الارض والسماء ومن يَفْرَقْ من الله لا يَخَفْ إثما
اني امرؤ قد ظلمتُ نفسي وإلا م تَعْفُ عني اغلا دماً كنا
أطرَحُ بالكافرين في الدرك م الاسفل يا ربِّ أصطلي الضَّرما

وقال اميّة بن ابي الصلت يذكر الابرار ونعيمهم والاشرار وجحيمهم :

هما فريقانِ فرقةٌ تدخلُ م الجنّةَ حفّت جم حدائقُها
وفرقةٌ منهم قد أُدخلت م النار فساءتهمُ مرافقُها
لا يستوي المنزلان ثمَّ ولا م الاعمالُ لا تستوي طرائقُها

وكما جعلوا الملائكة في السماء كذلك عيّنوا جهنّم لابليس وفرقته من الشياطين

والجنّ الذين هبطوا من السماء بخطيئتهم فاخذهم الله بعصيانهم . قال امية (لسان العرب ١٥: ٤٠٩):

وفيها من عباد الله قومٌ ملائكُ ذُلّلوا وهمُ صعابُ

وقال امية ايضاً ودعا الشيطان شاطناً (اللسان والتاج والصحاح في مادّة عكا):

أيا شاطنٌ عصاهُ عكاهُ ثمّ يُلقى في السجن والاغلالِ

ودعاهُ عديّ بن زيد ابليساً (تاريخ العصامي سمط النجوم العوالي ص ١٩):

وأهبطَ ابليسًا وارهدَهُ نارًا تَلهَبُ بالإسعار والشَّرَر

وقال امية بن ابي الصلت:

وترى شياطينًا تروغُ مُضاعةً ورَواغها صِيرٌ اذا ما يُطرَدُ
تُلقى عليها في السماء مذلّةٌ وكواكبٌ تُرمى بها فتَمَرَّدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً:

فأتمَّ سبعًا فاستوَتْ أطباقُها وأتى بآيةِ فأتى تُورَدُ

وقد كثر في الشعر الجاهلي ذكر الدينونة والحساب وما يتبعهما من ثواب او عقاب قال زهير بن ابي سلمى في معلّقته يتهدّد المنافقين بالدينونة:

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومَهما يُكتَمِ اللهَ يَعلَمِ
يؤخَّر فيوضع في كتاب فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعجَّل فيُنقَمِ

وقال امية بن ابي الصلت:

يوقَفُ الناسُ للحساب جميعًا فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ

وقال النابغة الذبياني يذكر معتقد بني غسّان بالدينونة:

فلا يحسبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدَهُ ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ

وقال لبيد (ديوانه ص ٢٨ . ed. Huber):

وكلُّ امرئٍ يومًا سيُعلَمُ سَعيُهُ اذا كُشفت عند الاله المحاصلُ

ويروى في المخصّص (١٢: ٧١): «اذا حصلت عند الاله الحصائل». وروى السيوطي لأُميّة بن ابي الصلت (في اتقان علوم القرآن ١: ١٥٨)

ولا يوم الحساب وكان يومًا عبوسًا في الشدائد قمطريرا

وقال امية ايضاً (فيه. وفي الاغاني ٣: ١٢٩):

انّ يوم الحساب يومٌ عظيمٌ شابَ فيهِ الصغيرُ شيبًا طويلا
ليتني كنتُ قبل ما بدا لي في قلال الجبال ارعى الوعولا

كلّ عيشٍ وان تطاول دهرًا منتهى امرهِ الى ان يزولا
وأجلِ الموت نصب عينك واحذرْ غولة الدهر انّ للموت غولا

وقال ايضاً (خزانة الادب ٤ : ٧) :

لا تخالطنّ خبيثات بطيبة واخلِ ثيابك منها وانجُ عريانا
كلّ امرئٍ سوف يُجزى قرضهُ حسنًا او سيئًا ومدينًا كالذي دانا

وهم يذكرون مع الدينونة والحساب يوم الحشر وبعث الاجساد وقيامتها من قبورها وجزاء العالمين الاخير . قال اميّة ووصفهُ تعالى بالباعث للموتى :

الوارثُ الباعثُ الاموات قد ضمنت ايّامُ الارض في دهر الدهاريرِ

وقال قس بن ساعدة (الشريشي ٢ : ٢٠٥ ومحاضرات ابن العربيّ ٢ : ٦٧٠ وكتاب المعمّرين لابي حاتم السجستاني ص ٧٦) :

يا ناعيَ الموتِ والاموات في جدثٍ عليهم من بقايا خزّهم خرَقُ
دَعْهم فانّ لهم يومًا يُصاح بهم فهم اذا انتبهوا من نومهم فُرُقُ (١
حتى يعودوا بحالٍ غير حالهمِ خلقًا جديدًا كما من قبلها خُلقوا
منهم هراةٌ وموتى في ثيابهمِ منها الجديد ومنها الأورق الخلَقُ

وقال عبيد بن الابرص يذكر القيامة (خزانة الادب ١ : ١٦٠) :

انت المليكُ عليهمِ وهم العبيدُ الى القيامَهْ

وقال اميّة ولهُ السهمُ الافوز في وصف الدينونة وذكر ايضاً العرش وميزان الحساب والزُّبُر اي الاسفار المقدّسة التي اوحى بها الله لهداية العالمين (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) :

ويومُ موعدهم ان يُحشَروا زُمَرًا يومُ التغابُنِ اذ لا ينفع الحَذَرُ
مستوسقينَ مع الداعي كأنّهمُ رجلُ الجرادِ رقتْهُ الريحُ تنتشرُ
وأُبرِزوا بصعيدٍ مستوٍ حرزٍ (٢ وأُنزل العرشُ والميزانُ والزُّبُرُ
وحُوسبوا بالذي لم يُحصِ احدٌ منهم وفي مثل ذاك اليوم مُعتبَرُ
فنهمُ فَرِحٌ راضٍ بعيشهِ وآخرون عصَوْا مأوامرَ الستَرُ
يقولُ خُزّانها : ما كان عندكمُ ألم يكُنْ جاءكم من ربّكم نُذُرُ
قالوا : بلى قبّحتْ قتيةٌ بطروا وغرّنا طول هذا العيش والعُمُرُ
قالوا : امكثوا في عذاب الله ما لكمُ الّا السلاسلُ والاغلالُ والسَّعَرُ
فذاك عيشهمُ لا يبرحون بهِ طول المقام وان ضجّوا وان ضجروا

---

١) وروى الباقلاني في اعجاز القران (ص ٢٢) : كما ينبّهُ من نوماتهِ الصَّعِقُ
٢) كذا في الاصل . والصواب تَرِزٍ . يقال ارض تَرِزٌ وتَرِزَ وتُرِزَ اي مُجدبة

وآخرون على الأعراف قد طمعوا بجنّة حفّها الرمّانُ والخضَرُ
انّ الانامَ رعايا الله كلهمُ هو السَّبيطرُ فوق الارض مُقتدرُ

وهو القائل ايضاً في وصف الجحيم والنعيم (المقاصد النحوية في هامش خزانة الادب ٢ : ٣٤٦ ومنتخب ربيع الابرار Ms Wien, ff 16v)

سلامتك ربّنا في كلّ فجرٍ بريئاً ما تلبّقُ بك الذمومُ
عبادُك يخطئون وانت ربٌّ بكفّيكَ المنايا والحتومُ
غداةَ يقولُ بعضهمُ لبعضٍ ألا يا ليت امّكمُ هتيمُ
فلا تدنو جهنّمُ من برئٍ ولا عَدْنٌ يحلُّ بها الاثيمُ
فهم يطفونَ كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ
جهنّمُ تلك لا تبقي بنيًّا وعَدْنٌ لا يطالبها الرجيمُ
فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ولا حَنَثٌ ولا فيها مُليمُ
اذا بلغوا التي أُجروا اليها تغيّلهم وصُلّل مَن يصومُ
وخُفّفَت النذورُ واردفتهم فضول الله واتمت القسومُ

فهذه الاوصاف كلها لا تُرى في غير الاسفار المقدسة التي كانت في ايدي النصارى فاخذها عنهم شعراء العرب قبل الاسلام. ولاميّة المذكور ابيات ذكر فيها انتظار البشر ليوم الدينونة وظهور المسيح ليدين العالم (كتاب البدء ٢ : ١٤٥) :

والناسُ راثَ عليهم امرُ ساعتهم فكلّهم قائلٌ للدين أيّانا (١
ايّامَ يلقى نصارام مسيحَهمُ والكائنين لهُ وِدًّا وقربانا (٢
م ساعدوهُ كما قالوا إلههمُ وارسلوهُ يريد الغيث دسّانا (٣

ومعلوم في معتقد المسلمين انّ السيّد المسيح (عيسى) هو الذي ينزل في آخر العالم ليدين العالمين. فكفى بهذه الشواهد دليلًا على انّ كل الالفاظ الواردة في القرآن والحديث عن الدينونة واحوالها قد سبق اليها اهل الكتاب في الجاهلية كما سبقوا الى اسماء الله الحسنى (لهُ بقيّة)

---

١) راثَ اي تأخّر. يريد ان الناس يكونون في انتظار الساعة فيقول بعضهم لبعض أيّانا اي متى يحلّ يوم الدين

٢) كذا في الاصل. ونظنّ ان الصواب « الكائنين » اي الماضين

٣) الدسّان المرسل. يريد انّ المسيح تقدّمهم كالرائد الذي يتبع الكلأ. ولعلّ في هذا اشارة الى قول السيّد المسيح في انجيل يوحنّا (١٤ : ٢) « اني ذاهب لاعدّ لكم المكان ». وفي كتاب البدء : وارسلوهُ كسوف الغيب. وفي اللسان : يسوف الغيثَ